الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد صلى اللهـ عليه و سلم، وأشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمدا عبده و ر سوله.

و بعد:

فقد روى الحاكم في مستدركه و غيره أن النبي، صلى اللهـ عليه و سلم: "إن قوما ساروا برواحلهم، حتى اذا كانوا ببيداء من الأرض، انقطعت بهم رواحلهم، و نفذ منهم زادهم، فلا هم يستطيعون الرجوع، و لا هم قادرون بلوغ مأربهم، و بينما هم على ذلك إذ طلع عليهم رجل لا يرى عليه أثر السفر فقال لهم: إن وراءكم أرضا معشبة، و حياضا رواء، فلو أنكم اتبعتموني فإنكم ستبلغونها، و يذهب عنكم الذي بكم، فلما لم يكن من بد ساروا معه، حتى بلغوا تلك الرياض و تلك الحياض، فأكلوا و شربوا، حتى امتلأت خواصرهم، ثم إن الرجل قال لهم بعد حين: ألم اجدكم على الحال التي كنتم عليها، قالوا: بلى. قال: أفلم ادلكم على ما انجاكم مما انتم فيه، قالوا: بلى، قال: فإن وراءكم رياضا هي أعشب من هذه و حياضا هي أروى من هذه فاتبعوني. فانقسم الناس عنه على فرقتين: فقالت الأولى: إنه صدق فلنتبعه و قالت الأخرى: بل نقيم على ما نحن عليه".

و كأن المعني بالرجل رسول اللهـ صلى اللهـ عليه و سلم، و بالناس من كان في زمنه صلى اللهـ عليه و سلم.

و في الحديث الاخر المتفق عليه في الصحيحين، ان النبي، صلى اللهـ عليه و سلم، قال: "انما مثلي و مثلكم، كمثل رجل استوقد نارا، فجعلت الفراشات و هذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها و هو يزعهن فيغلبنه، فانا آخذ بحجزكم عن النار"

ان هذين الحديثين يمثلان الدور الرسالي الذي جاء به الرسول ، صلى اللهـ عليه و سلم، و حال زمانه الذي جاء فيه، و أثره على متبعي رسالته، و بيان حرصه على انقاذ الناس من مسالك الشيطان و دروب الغوايه، ثم بيان انقسام الناس بين متبع و ممتنع.

فهكذا جاء النبي ، صلى اللهـ عليه و سلم، لقوم يأكلون الميته، و يشربون الخمر، و يقتل بعضهم بعضا، قد اصبحوا العوبة الامم، و هانوا و ذلّوا على باقي الامم من الفرس و الروم و المجوس، و قد فقدوا كل مقومات الريادة، فلما صّدقوا به و اتبعوه و ساروا على النور الذي جاء به، فتحوا الدنيا و غلبوا فارس و الروم و المجوس، و حكموا الجزيرة و اليمن و الشام و مصر و العراق و الاندلس و بعض اوربا.

و كانت تلك الفتوح اول عطايا الدين الدنيوية، حتى صار الواحد من العرب ياتي قومه فيقول لهم: اذهبوا الى محمد فانه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. و هكذا دان اغلب هذه البلاد بشريعة الاسلام.

فلما بسطت الدنيا لاهل الاسلام، نبههم الى الامر الاسمى و الأجّل، و هو تلك الجنان التي اعدها اللهـ للمتقين من عباده الذين لم يغتروا بجنات الدنيا و زخرفها. و هو يقول لهم صلى اللهـ عليه و سلم: " ما الفقر أخشى عليكم، و لكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها كما تنافسوها، فتهلكم كما اهلكتهم".

و هكذا انحرف اكثر المسلمين في مستنقع الدنيا، و فضلوا الفانيه على الباقية، و بدل ان يعملوا لاتباع الرسول في بلوغ جنات الاخرة قالوا: بل نقيم على ما نحن عليه.

فتلك هي القضية، و هذا جوهر الموضوع.

و صلى الله على محمد ، صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه أجمعين.